سباق الموت

محمود سالم

سباق الموت

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سباق الموت

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٧٨١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
سباقات في كل مكان!	١١
سباق الموت!	١٥
مواصفات خاصة!	١٩
سيارة ملغومة!	٢٣
المأزق!	٢٧
الخطر ... من فوق!	٣٣
قنابل موقوتة ... ودبابة!	٣٧
الخدعة الكبرى!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

سباقات في كل مكان!

جاءت خطوات رقم «صفر» الهادئة القوية واضحة وهو يتَّجه إلى مكانه المعتاد ... وساد الصمت في قاعة العرض السينمائي بداخل كهف الشياطين، الذين استقرَّت أعينهم تجاه شاشة العرض البيضاء انتظارًا للفيلم الذي سيعرض عليهم حالًا، والذي من أجله استدعاهم رقم «صفر» منذ دقائق قليلة بدون أن يفصح لهم عن المُهمة العاجلة التي استدعاهم لأجلها ...

بعد لحظة أضيئت شاشة العرض ... وظهر عليها صف طويل من عربات السباق ذات الماركات العالمية المختلفة، وكان بعضها عجيب الشكل غريب الهيئة ... مقدمة طويلة مَسحوبة للأمام، ومؤخرة ضخمة منبعجة أو العكس، سيارات ضخمة وسيارات صغيرة خفيفة، ولكنها تهدر في قوة وصخب ... وكان هناك عدد ضخم من المشاهدين الذين أخذوا يُلوِّحون بالأعلام الصغيرة في حماس شديد، بينما راح السائقون يطمئنون على سياراتهم للمرة الأخيرة.

وبدأ السباق؛ فتدافعت السيارات في زئير مُدوٍّ وانطلقت كالصواريخ بسرعة كبيرة وسط الحماس الجنوني للمُشاهدين الذين ارتصُّوا طوال طريق السباق ... وانتقل الفيلم إلى مرحلة متقدمة من السباق، فشاهد الشياطين إحدى السيارات وقد اندفع قائدها ليصطدم بسيارة أخرى ليبعدها من أمامه فانقلبت السيارتان، وسرعان ما اشتعلت فيهما النيران، على حين اندفع رجال المطافئ والإسعاف نحوهما ... ولكن كان واضحًا للشياطين أنه لا أمل في إخراج أي من قائدَي السيارتين حيًّا ...

وصاحبت الكاميرا السباق في تتابع سريع عبر طريق تحفُّه التلال من الجانبين ثم تنبسط أرض رملية فسيحة أمامه، وقد تسابقت سيارتان في الأمام على حين تخلفت الباقيات في المؤخرة، وكل منها تتدافع وتصدم الأخرى للتقدم عليها ... وقبل النهاية اندفعت إحدى

السيارتين لتصدم الأخرى بطريقة مُتعمَّدة فأزاحتها من الطريق وجعلتها تنقلب على نفسها عدة مرات ... واندفعت الأولى تُنهي السباق وسط حماس جنوني للمشاهدين، وجاء صوت رقم «صفر» أخيرًا يقول: ما شاهدتموه منذ لحظات هو سباق «ناسكار» الأمريكي، وهو أعنف السباقات للسيارات، ومسموح فيه بالتصادمات الخطيرة بين المتسابقين للفوز بالسباق ذي الجائزة التي تبلغ مليونَين من الدولارات ... إن مثل هذا السباق الخطير يُشاهدُه الملايين بامتداد الطريق الذي يبلغ طوله ٨٠٠كم، ولا يجرؤ أحدُ مُحترفي السباق على المخاطرة بدخوله إلا بعد تصفيح سيارته فتَصير كالقلعة المدرعة التي يصل وزنها أحيانًا إلى واحد ونصف طن، وتصل سرعتها في ذات الوقت إلى ما يزيد عن ثلاثمائة كيلومتر في الساعة.

صمت رقم «صفر» ... واختفَت سيارات سباق «ناسكار» وظهر سباق آخر ... كان هناك آلاف المشاهدين غالبيتهم ذوو وجوه دائرية وعيون ضيقة وملامح صينية أو يابانية، وكانت هناك العشرات من سيارات السباق من الماركات العديدة قد ارتصت خلف بعضها انتظارًا لإشارة البدء ... ثم انطلقَت السيارات مُزمجرة مع الإشارة بسرعة بالغة.

وجاء صوت رقم «صفر» شارحًا: هذا هو سباق «هونج كونج – بكين» الدولي ... وجاءت مراحل السباق في قطعات سريعة خلت من العنف بين المتسابقين وإن لم تخلُ من بعض حوادث للسيارات المشاركة بسبب السرعة العالية وطبيعة الأرض المنحدرة ...

وفجأة انتقلت الكاميرا إلى سباق ثالث كان يحمل بعض الوجوه العربية ... كان واضحًا أن السباق يَنطلِق من «باريس» بعد أن ظهر برج إيفل في الخلفية ... وكان من المُذهِل أن هناك ما يزيد عن خمسمائة سيارة وشاحنة ودراجة نارية انطلقَت كلها تهدر في صفوف ثعبانية طويلة، وقال رقم «صفر» وسط زئير السيارات المُندفِعة فوق الشاشة: هذا هو رالي «باريس – الجزائر – دكار» إنه من أصعب السباقات في العالم؛ فمَسافتُه تزيد عن ١٣ ألف كيلومتر، يقطع المتسابقون أغلبها وسط الصحراء الجزائرية والإفريقية بعد الوصول إليها من «باريس» ومسموح لجميع السيارات والدراجات النارية ولكافة السائقين بدخوله ... غير أنه في العادة لا يتمُّ هذا السباق حتى نهايته سوى قلة من المتسابقين ... أما الباقون فإما أن ينسحبوا بعد أن يُدركوا أنه لا قِبَل لهم بهذه المشقَّة ... وإما أن يُصابوا بحوادث في الطريق الصعب ... إن مؤسس هذا السباق هو «ثيري سابين» ومن المؤسف أنه لقي مصرعه في نفس السباق عام ١٩٨٦م، ولكن برغم ذلك فلا يزال هذا السباق الخَطِر يجذب العديد من هواة المغامرات والمخاطَرات ...

علت ابتسامة وجوه الشياطين عند ذكر المغامرات والأخطار، وطاف بذهنِهم سؤال مُدهش، كيف أنهم لم يَشتركوا في أحد تلك السباقات من قبل، وهم الذين يعشقون المخاطرات ... وهم البارعون في قيادة السيارات ... ودار في رءوسهم في نفس الوقت تساؤل: ترى هل ستكون مُهمتهم القادمة الاشتراك في إحدى هذه السباقات أو الراليات ... إنها بلا شك سوف تكون مُهمة ممتعة ...

وتلاقت نظرات الشياطين كأنما استقرت أذهانهم على نفس الفكرة في نفس اللحظة ... وقطع انتباههم رقم «صفر» وهو يقول: هو «رالي الفراعنة» الشهير ...

استدارت رءوس الشياطين نحو الشاشة ... وظهرت الأهرامات على البعد والسيارات المختلفة الطراز وهي تشق الرمال متجهة إلى الغردقة في سباق وعر ... وقال رقم «صفر»: هذا الرالي من الراليات المستحدثة؛ إذ لم تمر عليه سوى سنوات قليلة، ولكنه برغم ذلك لاقى نجاحًا كبيرًا، ويشترك فيه كل عام العشرات من أبطال السباق في العالم، وهو رالي مُمتع بحق؛ إذ إن مسافته تزيد عن ثمانية آلاف كيلومتر وسط الصحراء العريضة، وأغلب المتسابقين فيه قاموا بصناعة سياراتهم بأنفسهم لتتحمَّل مشقة الطريق ووعورته، بالإضافة إلى زيادة قوة محركات سياراتهم وزيادة سعته ...

انتهى الفيلم وأضيئت القاعة ... وأنصت الشياطين انتظارًا لانتهاء حديث رقم «صفر» الذي أخذ يقلب عدة أوراق أمامه وهو يقول: لقد نشأت الراليات العالمية في الخارج، ولكنها بدأت تغزو المنطقة العربية، فهناك رالي الفراعنة، وفي الأردن يوجد رالي الأردن الدولي، ورالي قطر، وصار هناك العديد من أبطال سباقات السيارات العرب الذين استهوتهم هذه المخاطرة.

لم يستطع «عثمان» كتمان فضوله أكثر من ذلك فتساءل: هل ستكون مهمَّتنا القادمة هي الاشتراك في أحد هذه الراليات العالمية؟

ساد الصمت بعد تساؤل «عثمان»، وتطلعت أعين الشياطين نحو مكان رقم «صفر» في شغف؛ فقد عبَّر «عثمان» بتساؤله عما يدور في عقولهم من أسئلة كثيرة مثيرة منذ بدأ عرض الفيلم.

وجاء صوت رقم «صفر» بعد لحظة متمهلًا وهو يقول: إن مهمتكم القادمة هي الاشتراك في أحدث وأصعب رالي في العالم ... وفي نفس الوقت غير مطلوب منكم الاشتراك فيه!

التفت الشياطين نحو بعضهم بدهشة بالغة وهم لا يفهمون ما يقصده رقم «صفر» بعبارته؛ فكيف سيشتركون في أحد سباقات السيارات ... وفي نفس الوقت لا يشتركون فيه؟!

وجاءت إجابة رقم «صفر» لتُبدِّد غموض عبارته ... بما هو أكثر إثارة!

سباق الموت!

قال رقم «صفر»: أنتم تعلمون أنَّ البرازيل دولة كبيرة المساحة، وهي تتميز بأنها دولة غابات ... فهي تقع في تلك المنطقة المدارية المطيرة؛ حيث تسقط الأمطار طوال العام فتنمو الغابات المتشابكة الكثيفة؛ حيث تعتبر غابات البرازيل أكثف بقعة غابات استوائية في العالم ولا تزال أغلب مناطقها مجهولة ... فحتى الآن لم تطأ قدم بشرية هذه المناطق؛ لصعوبة جوها وأرضها ولنباتاتها الكثيفة والمخاطر العديدة التي تعترض من يحاول اختراق هذه الغابات سواء من حيواناتها أو حشراتها أو مخاطرة التيه وسط تلك الغابات اللانهائية التي تحُول كثافة بعضها دون شعاع الشمس حتى لا يصل إلى أرضها أبدًا ... لكثافة أشجارها ومزروعاتها التي تُكوِّن ما يشبه السقف الذي يُغطي هذه الغابات ... وبسبب تلك الطبيعة القاسية الصعبة للغابات البرازيلية فقد فشلت أغلب المجهودات التي بُذلَت لشق بعض الطرق داخل هذه الغابات لارتيادها والاستفادة من مزروعاتها ونباتاتها وأخشابها ... وظلت هذه الغابات حتى وقتنا الحالي عالمًا مجهولًا شديد الغموض والخطورة لا يعيش فيه سوى سكان هذه الغابات البدائيين الذين لا يدرون شيئًا عما يدور في العالم خارج غاباتهم. فهم يعيشون على الصيد بالرماح والحراب، وحياتهم كلها كفاح ضد الطبيعة القاسية حولهم ...

تساءل «أحمد»: هل سيقام سباق يخترق هذه الغابات؟

رد رقم «صفر»: ليس بالضبط ... إن أحدًا لا يجرؤ على اختراق هذه الغابات ... إن هناك سباقًا ... بالفِعل يُعتبر من أحدث السباقات العالمية فهو يقام للمرة الأولى هذا العام ... وهذا السباق سيَنطلِق من العاصمة البرازيلية «برازيليا»، ثم يخترق أمريكا الجنوبية بالعرض ليسير موازيًا للغابات البرازيلية وأحراشها ولا يجتاز هذه الأحراش إلا في بقعة لا تتجاوز مائة كيلومتر قبل أن يجتاز الحدود إلى «بيرو» حيث الطبيعة

الجبلية، وينتهي السباق في «ليما» عاصمة «بيرو» بمسافة تصل إلى عشرة آلاف كيلومتر من الطرق الوعرة على حافة الغابات وحدود الأنهار والأرض الطينية والرطبة ومختلف أنواع الحشرات والحيوانات. إنه سباق الموت بحقٍّ كما أُطلِق عليه ... إن هذا السباق تنظمه إحدى شركات شق الغابات في «البرازيل» بهدف لفت أنظار العالم إلى الثروات الطبيعية في غابات «البرازيل» من أجل المساهمة في اختراق هذه الغابات وإخضاعها للإنسان.

وصمت رقم «صفر» لحظة، وسمع الشياطين صوت أوراق يُقلبها أمامه، وجاء صوته يقول: إن أحدث المعلومات المتوافرة تقول بأن هذا السباق نظرًا لخطورته الشديدة لن يشترك فيه أكثر من مائة متسابق أغلبهم من أبطال العالم في سباقات السيارات ... وإن كان هذا السباق يتطلب ما هو أكثر من ذلك ... إن من شروط هذا السباق ألا يشترك مُتسابق وحده في سيارته، بل يشترك معه مساعد، وأن تكون هناك سيارة معاونة لسيارة السباق لتحمل الإطارات الاحتياطية والوقود وكافة مستلزمات الإصلاح للسيارة التي تَتبعها حتى يمكنها المعاونة والتدخل في أسرع وقت. كما أنه من غير المسموح استعانة المتسابقين بأجهزة اتصال لا سلكية. فسوف يتم تزويد المتسابقين بخرائط تدلهم على طريق السباق، بالإضافة إلى وجود علامات إرشادية طوال الطريق.

إلهام: وكم تبلغ مراحل هذا السباق؟

وجاء رد رقم «صفر» مفاجئًا: إن السباق كله مرحلة واحدة.

تصاعدت آهات الدهشة من الشياطين، كانوا يعلمون أن أي سباق عالَمي من سباقات المسافات الطويلة تَزيد مراحله على عشرة مراحل، وأحيانًا تصل إلى الثلاثين، والتي يستغلها المتسابقون في إراحة سياراتهم والكشف عليها بالإضافة إلى حُصولهم على قسط من الراحة.

قال «أحمد»: ولكن هذا جنون ... كيف يستمرُّ السباق لأيام عديدة بلا راحة للمتسابقين.

جاء رد رقم «صفر» هادئًا: لقد أراد مُنظِّمو السباق أن يكون في مثل عنف وخطورة وقسوة الغابات البرازيلية ... إنه سباق الموت كما أخبرتكم.

سادت لحظات صمت قصيرة والشياطين يفكرون فيما قاله رقم «صفر» ... وقطع رقم «صفر» خواطرهم قائلًا: سوف تشترك مجموعة من الشياطين في هذا السباق، ولقد تمَّ إدراج أسمائها ضمن المشتركين في السباق الذي سيَبدأ في الغد ... وسوف تكون مهمَّة هذه المجموعة هي حماية أحد المتسابقين من الاغتيال.

تلاقت أبصار الشياطين، لقد وضحت مهمتهم أخيرًا ... ولعل هذا ما قصده رقم «صفر» بأنهم سوف يشتركون في السباق ولن يشتركوا في نفس الوقت ... إن مهمَّتهم لن

تكون الفوز بالسباق والحصول على جائزته، بل حماية أحد المتسابقين، وهذا يعني أنهم غير مُشتركين في السباق، برغم اشتراكهم الفعلي.

قال رقم «صفر»: إن هناك ابن أحد الشخصيات العريقة الهامة في عالَمنا العربي ... إنه شابٌّ في مثل سنِّكم تقريبًا، ولنُطلِق عليه اسم «سالم» ... وهذا الشاب يَهوى مثل هذه السباقات الخطرة، فهو شاب مقدام جريء تلقَّى علومه في أفضل الجامعات الأوروبية، وقد ضايقه ألا يشترك أي عربي في سباق الموت، فصمم على الاشتراك في هذا السباق الخطر برغم المعلومات التي وصلتنا، والتي تفيد أنه سيتعرض للاغتيال في هذا السباق ... إننا لا ندري مَن الذي سيُحاول اغتياله، ولا ما هي الوسيلة، ولكن سيكون ذلك سهلًا بلا شك خلال مرحلة السباق الطويلة ... هذا إن لم تواجهه الأخطار الحقيقية خلال السباق الرهيب ... ولكن من المؤكد أن تعرُّض «سالم» للاغتيال يرجع إلى مواقف والده المسئول العربي الكبير في وجه الاستعمار الذي غادر المنطقة العربية للأبد، وعندما حاول العودة من خلال احتكارات اقتصادية وقف هذا المسئول العربي في وجه هذه الاحتكارات التي تُريد لعالَمنا العربي العودة إلى عصر الاستعمار والسيطرة الأجنبية على مقدراته وخيراته ... ومن هنا فإن محاولة اغتيال «سالم» المقبلة ليست إلا محاولة لتحطيم والده وعقابه على موقفه المتشدِّد، وحتى تكون رسالة للآخرين كي لا يأخذوا نفس الموقف. ومن أجل هذا يجب حماية «سالم» طوال فترة السباق الذي سيَستغرِق عشرة أيام وإنهائه سالمًا.

قالت «إلهام»: ولكن الخطر قد يأتي من خارج السباق ... إن تلك المنطقة التي سيتم فيها السباق منطقة خطرة مليئة بالحشرات المميتة والحيوانات المتوحِّشة.

رقم «صفر»: لقد حاول البعض إقناع «سالم» بذلك ولكنه رفض، وقال إنه ليس أقلَّ شجاعة من المشتركين في هذا السباق ... كما أنه يريد رفع اسم بلاده واسم العرب عاليًا باشتراكه في هذا السباق، وربما يكون الحظ حليفه فيفوز به.

قال «خالد» برنَّة إعجاب: إنه فتى شجاع حقًّا ... كان أولى به أن يكون واحدًا من الشياطين.

على الفور خفت الإضاءة في القاعة، وظهر فوق الشاشة الكبيرة صورة ملأتها لشاب لم يتعد الثانية والعشرين من عمره ذي ملامح عربية قوية بشَعر قصير، وعينين سوداوين واسعتين، وفكٍّ قوي يدل على العزم والصلابة، وأنف صلب، وجبهة عريضة ... وكان بالعينَين بريق لا ينبعث إلا من روح وثَّابة جريئة.

وجاء صوت رقم «صفر»: هذا هو «سالم».

وتلاشَت ملامح الصورة تدريجيًّا وعادت إضاءة القاعة كما كانت، وقال رقم «صفر»: سوف تُسافر المجموعة المكونة من «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» و«زبيدة» و«قيس» إلى العاصمة البرازيلية خلال ساعتَين، وهناك خمسة مقاعد محجوزة لهم على أول طائرة إلى «البرازيل» ... أما الباقون فإن هناك مهمَّة أخرى تنتظرهم ... هل هناك أية أسئلة؟

أحمد: ما هو طراز السيارة التي سنَدخل بها السباق؟ وأين هي؟

أجاب رقم «صفر» وهو يَنهض من مكانه: سوف تجدون إجابة عن كل هذه الأسئلة في «برازيليا» ... إن كل شيء مُعَدٌّ هناك منذ وقت وسوف يسهل لكم كافة الأمور هناك أحد أعضاء المنظمة ... وستجدون جوازات سفركم وبها تأشيرات دخول «البرازيل» في الغرفة الرئيسية ...

واختفى رقم «صفر» ... وعلى الفور تحرَّكت مجموعة الشياطين المكلَّفة بالمهمة خارج الكهف، فلم يكن هناك أي وقت لإضاعته فأسرعوا للحصول على جوازات سفرهم. وبالخارج كانت هناك إحدى سيارات الشياطين السريعة التي اتجهت بهم إلى أقرب مطار ... وفي الوقت المناسب كانوا يأخذون أماكنهم في قلب الطائرة الضخمة التي علتْ بهم وسط حشد من الركاب من مختلف الجنسيات، وقد غرق الشياطين الخمسة في مهمَّتهم القادمة ... التي كانت تحيط بها الأخطار من كل جانب.

مواصفات خاصة!

عندما أنهى الشياطين إجراءاتهم في مطار «برازيليا» كان في استقبالهم شخص يُدعى «جانيرو»، كان هو عميل المنظمة في تلك المنطقة ... وسرعان ما كان البرازيلي يقودهم إلى فيلا واسعة في قلب العاصمة حيث كانت سيارة السباق الخاصة بهم في انتظارهم ...

كانت سيارة رائعة ... كأنها تحفة ... كانت سوداء اللون بخط فضي في المنتصف، وقد رسمت علامة الشياطين فوق مقدمتها المسحوبة للأمام والتي كانت تحتوي على كشافين قويين يتم تغطيتهما عند عدم الحاجة إليهما ... كما كانت عجلاتها عريضة قوية مدعمة بأسلاك دقيقة من الصلب لتتحمل السير في أشد الطرق وعورة، وكان لها مقعد أمامي فقط يتسع لشخصين، على حين كانت مؤخرتها عريضة فارغة احتياطيًّا لتمتلئ بالماء والغذاء والوقود والسلاح ...

تساءلت «إلهام»: ما هي ماركة هذه السيارة؟

رد «جانيرو» بابتسامة واسعة: إنها ماركة الشياطين ... فهي سيارة مستحدثة لا مثيل لها، وقد تم إنتاجها بناءً على طلب خاص.

أحمد: وهل لها مميزات خاصة؟

جانيرو: إن لها العديد من المميزات ... فهي أولًا مصفحة ضد الرصاص، ويمكنها أن تعمل مثل قارب فتعبر أي نهر يعترضها.

التفت الشياطين الخمسة بدهشة نحو «جانيرو» الذي أضاف: إنها مصممة بحيث لا يكون بأسفلها أي منفذ لدخول الماء، علاوة على أنها تحتوي من أسفل على ما يشبه المراوح المائية لتسييرها فوق الماء، فالغابات البرازيلية مليئة بالعوائق المائية والأنهار ... وبالإضافة إلى ذلك فهي تحتوي على أجهزة قتالية مخفاة بمهارة.

تحسس «أحمد» مقدمة السيارة أسفل كشافي الإضاءة فعثرت يداه على فتحات صغيرة مخفاة بمهارة.

فقال «جانيرو» موضحًا: إنها فتحات إطلاق الرصاص، وتوجد في مؤخرة السيارة بجوار ماسورة العادم (الشكمان) ماسورة أخرى لإطلاق الصواريخ ... وماسورة العادم ذاتها تستطيع إطلاق غاز سام أو غاز منوم حسب الزرار الذي يتم الضغط عليه في لوحة التابلوه الأمامي ... بالإضافة إلى أن كشافي الإضاءة يمكنهما الارتفاع لأعلى ليفسحا المكان لماسورتين لإطلاق اللهب الحارق لمسافة طويلة.

ربَّتت «إلهام» على السيارة قائلة: إنها سيارة رائعة!

جانيرو: ليس هذا فقط ... إن لها قوة دفع قوية بحيث تتيح لها تسلق طريق بزاوية ارتفاع تصل إلى ٤٥ درجة بلا مشقة.

قال «أحمد» ضاحكًا: لم يتبق لها سوى تسلق الأشجار!

ابتسم الجميع وقال «جانيرو»: إن محرك هذه السيارة سعة ٢ لتر وقوته تصل إلى ٤٥٠ حصانًا وسرعتها القصوى تصل إلى أكثر من ٣٥٠كم، وهي تستطيع أن تصل إلى السرعة القصوى بعد مائة متر فقط من انطلاقها.

عثمان: إنها سيارة رهيبة بحق! إنها السيارة الملائمة للشياطين تمامًا.

وقادهم «جانيرو» إلى شاحنة متوسطة الحجم من طراز «فورد» الأمريكي زودت بعجلات مزدوجة وكانت ذات صندوق كبير يتسع لكمية كبيرة من قطع الغيار والغذاء والماء والبنزين، وكانت الشاحنة ذات مميزات لا تقل عن السيارة الأولى، غير أنها كانت أقل سرعة وقوة دفع، وكان بها جهاز لاسلكي صغير مخفي بمهارة في عجلة القيادة ... وكان هناك مخزن سري بأسفل الشاحنة قد احتوى على عدد كبير من القنابل اليدوية والصواريخ التي تحمل على الكتف وعدد من المدافع الرشاشة سريعة الطلقات.

قال «قيس»: إنَّنا بهاتين السيارتين نستطيع أن نشنَّ حربًا ونكسبها، وليس مجرد اختراق الغابات فقط.

ضاقت عينا «جانيرو» وهو يقول: إن دخول غاباتنا هو الحرب ذاتها ... ولكنَّها حرب ضد الطبيعة ... وهي طبيعة قاسية رهيبة فشل الجميع في إخضاعها حتى الآن.

التقت أعيُن الشياطين في صمت، وقادهم «جانيرو» لأعلى ليحصلوا على قسط كافٍ من الراحة قبل أن يبدءوا مُهمتهم الشاقة في ظهر الغد.

في صباح اليوم التالي، وقبل السابعة بدقائق كان شمل الشياطين الخمسة قد اكتمل في شرفة الفيلا، وكان أمام الجميع تقرير يَحتوي على كل المعلومات الخاصة عن «سالم»

ومساعده وصديقه «ممدوح» ... وكان التقرير لا يُعطيهم مزيدًا من المعلومات عن «سالم»، أما «ممدوح» فعرفوا أنه كان زميلًا لـ «سالم» في دراسته بأوروبا، وأنه مُواطِن له وصديق شخصي ويتمتَّع بإقدام وشجاعة لا تقلُّ عن «سالم».

وكان التقرير يحتوي أيضًا على طراز سيارة الفريق العربي «سالم» و«ممدوح» وهي عبارة عن سيارة من طراز «تربو ٤٠٥» مزوَّدة بمحرِّك ١.٩ لتر قادر على إعطاء قوة ٤٠٠ حصان وتصل سرعتها النهائية إلى ٣٢٠ كيلومترًا ... أما سيارتهما المعاونة المحتوية على قطع الغيار والغذاء فكانت من طراز «داف» بمُحرِّكَين يُعطيانها قدرة ١٢٠٠ حصان وتبلغ سرعتها القصوى ٢٠٠كم/ساعة، ويقوم بقيادتها اثنان مِن أمهر قائدي السباقات العرب ممَّن قبلوا الاشتراك مع «سالم» في السباق لقيادة السيارة المُعاوِنة وهم «كامل الجوارحي» و«سعيد عزمي».

انتهى الشياطين من التقرير أمامهم، وقامت «زبيدة» بتمزيق التقرير إلى قِطَع صغيرة وأشعلت فيها النار حتى حوَّلتْها إلى رماد ... على حين قامَت «إلهام» بالاتِّصال برقم «صفر»، وجاءت أوامر رقم «صفر» تمنعُهم من الاتِّصال بالفريق العربي بقيادة «سالم» أو إخباره بمهمَّتهم في حمايته وألا يجعلوه يَغيب عن بصرهم.

وبعد أن انتهى تقرير رقم «صفر» قام الشياطين بإبدال ملابسهم بملابس من الجينز، واستقل «أحمد» و«عثمان» سيارة السباق، على حين قاد «قيس» السيارة الأُخرى وجلسَت «زبيدة» و«إلهام» بجواره في صمت، وانطلقَت سيارة «جانيرو» أمام سيارتَي الشياطين تُرشدهم إلى مكان السباق.

عندما وصَل الشياطين إلى نقطة البدء في قلب العاصمة البرازيلية كان المكان حاشدًا، فقد كانت كل السيارات المُشترِكة في السباق قد سبقتْهم إلى هناك، وكان هناك عشرات الآلاف من المشاهِدين الذين راحوا يُغنُّون ويُصفِّقون في تهليل صاخب، على حين كانت هناك عدة فِرَق راقصة وطنية تُقدِّم بعض رقصاتها احتفالًا بالمتسابقين ... وعدد كبير من عدسات التليفزيونات العالَمية تُسجِّل السباق ... قدم الشياطين أوراق اشتراكهم في السباق وقام الفنيون بتسجيل سيارة الشياطين وفحصها كما تنصُّ قوانين السباق، وإن لم يستطيعُوا اكتشاف أسرار السيارة وأسلحتها التي بدتْ بريئة المظهر لمهارة مَن صمَّمها ... وتمَّ توزيع خرائط الطريق على المُتسابقين، وأعلن في الميكروفون أن هناك ثلاث طائرات عمودية سوف تتقدَّم السباق لتُرشِد المتسابقين إلى خطِّ السير الصحيح حتى لا تضلَّ إحدى السيارات داخل الغابات، كما أن تلك الطائرات تحتوي على كافة مُستلزمات الإسعاف والأطباء وغرفة عمليات جراحية كاملة تحسُّبًا لأيِّ حادث للمشتركين.

واصطفَّت السيارات في عدة صفوف انتظارًا لإشارة البدء ... كانت سيارة الشياطين في الصف الرابع، وظهرتْ أمامهم في الصف الثاني سيارة الفريق العربي ذات اللون الأزرق، وكان «سالم» جالسًا إلى عجلة القيادة تُضيء وجهَه ابتسامة ثقة عريضة، على حين كان زميله مشغولًا بمراجعة الخرائط ووضع بعض العلامات عليها.

أما السيارات المُعاوِنة وكانت كلها شاحنات متوسِّطة أو كبيرة الحجم فقد قبعَت في الخلف لتنطلق بعد نصف ساعة من انطلاق السيارات المتسابقة ...

وهدرت السيارات بقوة محرِّكاتها التي تصمُّ الآذان، وزاد صخب الجماهير مع اللحظات الأخيرة قبل بداية السباق الذي كان مقدَّرًا له البدء في تمام الثالثة ظهرًا ...

وفي الوقت المحدد تمامًا تمَّ إطلاق إشارة البدء من مسدس كبير، وعلى الفور اندفعت السيارات المتسابقة إلى الأمام بهديرٍ يصمُّ الآذان، ورفع «سالم» يده بعلامة النصر من نافذة سيارته وهو يَنطلِق بها ... ومن الخلف وعلى مسافة قليلة قاد «أحمد» سيارة الشياطين خلف سيارة الفريق العربي وقد تحفَّزت كلُّ أعصاب الشياطين لملاقاة الخطر المجهول الغامض!

سيارة ملغومة!

انطلق صف السيارات الطويل مُخترِقًا شوارع العاصمة البرازيلية التي تقع فوق قمَّة إحدى الهضاب العالية التي يَزيد ارتفاعها عن ألفَي متر عن سطح البحر ...

ومع طابور السيارات المُتسابقة التي اندفعت بكل سرعتها راح الجمهور المُحتشِد يُصفِّق ويُهلِّل رافعًا الأعلام الملوَّنة، على حين بدت مباني العاصمة العالية وناطحات السحاب في الخلف والأجناب كأنها أذرع ضخمة نبتت حول الهضبة الفسيحة.

وأخيرًا غادرت السيارات المتسابقة الضواحي المُزدحِمة من العاصمة البرازيلية ... وانفتح أمامها طريق عريض يشق الهضبة، على حين امتدَّت إشارات الطريق وأسهُم العلامات تُرشد السيارات المتسابقة وسائقيها في يُسرٍ واضح إلى الطريق المطلوب اتِّباعه ...

كانت سيارة الفريق العربي في المقدمة ضمن سيارتَين أو ثلاث احتفظتا بالسبق منذ بدايته، ومن الخلف على مسافة أقل من كيلومتر تبعتها سيارة الشياطين، وقام «أحمد» بتثبيت السرعة بحيث يَحتفِظ بنفس المسافة بينه وبين سيارة الفريق العربي حتى يُمكنه التدخل في اللحظة المناسبة إذا ما تعرَّضت سيارة «سالم» لأيِّ خطر ...

وقال «عثمان» لـ «أحمد»: لا أظنُّ أن سيارة «سالم» ستتعرَّض لأي خطر الآن ... إن من يخططون للتخلُّص منه لا بدَّ وأنهم سيَنتظرُون دخولنا منطقة الأحراش قبل أن يبدءوا عملهم.

أحمد: أظنُّ أنك مُحقٌّ في استنتاجك ... ولكن علينا ألا نترك شيئًا للمُصادَفة أو التخمين.

هزَّ «عثمان» رأسه في صمتٍ ونظر في ساعة يده وقال: لقد مرت نصف ساعة ... أظن أن السيارات المعاونة ستَلحق بنا على الفور.

أحمد: أعتقِد أن السيارات المُتسابقة ستُقلِّل من سرعتها بعد أن تُغادِر العاصمة حتى تستطيع أن تكون على مسافة قريبة من السيارات المعاونة التابعة لها إذا ما حدث لها أي عطل.

ضحك «عثمان» قائلًا: ها قد بدأت تُفكِّر كسائق سباق مُحترِف.

وبالفِعل فما إن غادرت السيارات المُتسابقة العاصمة حتى قلَّلت من سرعتها ... وتقدمت عدة سيارات سيارة الفريق العربي على حين كانت سيارة الشياطين لا تزال تتبع سيارة «سالم» مع الاحتفاظ بنفس المسافة.

نظر «عثمان» إلى السيارات المارقة حوله وهو يقول: سيكون مُمتعًا لو انطلقنا بسُرعة سيارتنا القُصوى فيجد هؤلاء المتسابقون أن هناك تحديًا حقيقيًّا لهم.

قطَّب «أحمد» حاجبَيه قائلًا: في مثل هذه السباقات الطويلة وخاصةً إذا كانت بلا مراحل توقُّف خاصة، فيُستحسَن للسيارات المشاركة ألا تبدأ سباقها بسرعتها القصوى ... تمامًا كسبَّاقي وعدَّائي المسافات الطويلة ... إنهم يبدءون سباقهم في الجري بسُرعة أقل، ثم يُنهونه بأسرع ما يكون ...

عثمان: معك حق ... وإن كنت أعتقد أن المَراحل الأخيرة من السباق ستَحتاج لما هو أكثر من السُّرعة والمهارة في قيادة السيارات ... سأتَّصل بسيارتنا المُعاونة لأستطلع في أي مكان هم.

وأمسك «عثمان» بجهاز لا سِلكي صغير على شكل ولاعة وأخذ يبثُّ رسالة إلى سيارة الشياطين التي يقودها «قيس» و«إلهام» و«زبيدة» ...

وتلقت «إلهام» الرسالة فجاوبت «عثمان» بأن سيارتَهم لا تزال على مشارف العاصمة، وأنها تسبق السيارات المعاونة جميعًا وعلى مسافة قليلة منها تتبعُهم السيارة المُعاوِنة للفريق العربي.

ألقى «عثمان» نظرة إلى لوحات المسافة على الطريق وقال: إنَّ هناك أكثر من مائة كيلومتر تفصلُنا عن سيارة بقية الشياطين ... وأعتقِد أنها ستَتضاعَف قبل حلول المساء.

أحمد: سيُمكِن تعويضها بسهولة في المساء عند الراحة للتزوُّد بالوقود ...

ونظر في مؤشر الوقود أمامه قائلًا: سوف يفرغ الوقود في سيارتنا بعد ثلاث ساعات تمامًا أي بعد مغيب الشمس بدقائق قليلة.

عثمان: أظنُّ أن خزان البنزين لسيارة الفريق العربي له نفس سعة خزاننا ... وعلى ذلك فسوف تتوقَّف في مكانٍ قريبٍ منَّا للتزوُّد بالوقود.

أحمد: سوف نَنتهِز الفُرصة ونُحاوِل أن نُقيم عملية تعارف مع أفراد الفريق ... إن هذا سيسهل مهمتنا.

وساد الصمت بعد حديث «أحمد» ... وكانت أغلب السيارات المُتسابِقة قد تعدَّت سيارة الشياطين والفريق العربي الذي ظلَّ يسير على سرعة لا تتجاوَز المائتي كيلومتر في الطريق المنبسِط.

وفجأةً هتف «عثمان» في «أحمد»: انظر يا «أحمد»!

ولم يكن «أحمد» بحاجة إلى تنبيه وتحذير من «عثمان»، فقد لفَت انتباهه السيارة الحمراء التي خرجت من أحد الطرق الجانبية بسرعة كبيرة لتتوسَّط المسافة بين سيارة الفريق العربي وسيارة الشياطين.

قال «عثمان» بقلق: إنها تبدو كإحدى سيارات السباق بسرعتها العالية!

أحمد: ولكني لم أُشاهِدها ضمن السيارات المتسابقة، بالإضافة إلى أنها لم تَنطلِق معنا أو تسلك طريق السباق ... إنَّ هذه السيارة تُثير الشك!

عثمان: معك حق ...

وأخرج «عثمان» نظَّارة مقربة من تابلوه السيارة وألقى نظرة نحو السيارة الحمراء التي كانت تسبقهم بخمسمائة متر وقال مُندهشًا: إنَّ هذه السيارة لها سائق واحد فقط بلا مُساعد ... وهذا ضد قوانين السباق!

أحمد: كما توقَّعتُ ... إنها ليست إحدى سيارات السباق.

وأخذ «عثمان» النظارة المكبِّرة وألقى نظرة نحو السيارة الحمراء وقال بدهشة: عظيمة: إن طريقة السائق في القيادة تبدو عجيبة ... فهو جالس كأنه تمثال لا يتحرَّك!

وأزاح النظارة عن عينيه بدهشة، وهتف «عثمان»: إنه ليس سائقًا بشريًّا ... هذا مؤكَّد!

وفجأة زادت السيارة الحمراء من سُرعتها، واندفعت كالصاروخ خلف سيارة الفريق العربي، وتناقصت المسافة بين السيارتين بسرعة، وأفسح «سالم» الطريق للسيارة الحمراء لكي تتجاوَزه جهة اليسار، ولكن السيارة اندفعت بشدة نحوه من الخلف حتى كادَت أن تصطدم بسيارة الفريق العربي لولا أن انحرف «سالم» بسيارته في آخر لحظة.

وصاح «أحمد» وقد أدرك سرَّ ما يَجري أمامه: إنها سيارة ملغومة موجهة عن بعد ... لو اصطدمت هذه السيارة بسيارة «سالم» فسوف تنسفها!

هتف «عثمان» في حدة: انسِف هذه السيارة يا «أحمد» بأحد الصواريخ.

أحمد: لا أستطيع ... إنها قريبة جدًّا من سيارة «سالم»، ولو نسفناها فربما تنفجر سيارة «سالم» أيضًا.

وزاد «أحمد» من سُرعة سيارته حتى بلغت سرعتها القُصوى، وانطلقَت فوق الأرض كأنها تطير بصوت يصمُّ الآذان خلف السيارة الحمراء ...

وعاودت السيارة الحَمراء هُجومها على سيارة «سالم»، ويبدو أن «سالم» قد أدرك ما تبغيه السيارة المهاجمة من الخلف فانحرَفَ بسيارته تجاه الطريق الصَّخري على الجانب الأيمن واستدار استدارة كاملة وتأهَّب لملاقاة السيارة المهاجمة وجهًا لوجه ...

واستدارت سيارة الشياطين أيضًا بصوتٍ حادٍّ لتُصبح في مواجهة السيارة المهاجمة التي اندفعت نحو سيارة «سالم» ...

وضغط «سالم» على دواسة البنزين في سيارته بأقصى قوته ... وزأرت السيارة بكلِّ قوَّتها فوق الأرض الصخرية ولكنها لم تتحرَّك، فقد انحشرَت عجلاتها الخلفية في شقٍّ صخري عريض، وأخذت العجلتان الخلفيتان تدوران بجُنون داخل الشق بدون أن تقدر على دفع السيارة خارجه ... وتناقصت المسافة بينها وبين السيارة المُهاجمة التي اندفعت نحوها كوحش كاسر ولم يَعُد باقيًا غير خمسين مترًا تقطعهم السيارة الحمراء في أقل من ثانية ...

وصرخ «أحمد» وهو يَستدير بسيارته نصف دورة: الآن ...

وانطلق صاروخ من أسفل ماسورة العادم في سيارة «أحمد» وأصاب السيارة الحمراء المهاجمة في مُنتصَف المسافة، وانفجَرَت السيارة الحمراء ككُتلة من الجحيم المُستعِر في عدة انفجارات متوالية مما يقطع بأنها كانت تحمل كمية كبيرة من المتفجرات.

المأزق!

اندفع «أحمد» نحو سيارة الفريق العربي، وقفَزَ مِن السيارة ومعه «عثمان» واندفعا نحو السيارة وقد أصابهما قلقٌ عظيم خشية إصابة «سالم» أو رفيقه ... ولكن الاثنين خرَجا من سيارتهما سالمين تعلو وجهَيهما دهشة عظيمة.

تقدم «أحمد» و«عثمان» من الشابَّين العربيين، وقال «أحمد»: هل أصابكما شيء؟

سالم: لا ... الحمد لله ... يبدو أن هذه السيارة كانت مَلغومة ... إنَّ قوة انفجارها يقطع بذلك.

تبادَلَ «عثمان» و«أحمد» نظرةً خَفية، وقال «عثمان»: وما الداعي لوجود سيارة ملغومة، ولماذا حاولت مُهاجمة سيارتكما؟!

لم يرد «سالم» وارتسمَت علامات التفكير العميق فوق وجهه ... كان من الواضح أنه لا يريد الاعتراف لأحد بأن هناك محاولة اغتيال ضده ... كما كان من الواضح أيضًا أنه لم ينتبه إلى الصاروخ الذي انطلق من سيارة الشياطين وفجَّر السيارة المهاجمة في اللحظة المناسبة.

راقب «عثمان» السيارة المتفجِّرة التي تحوَّلت إلى شظايا محترقة وقال: يبدو أن شيئًا ما قد أصاب السيارة فانفجرَت قبل اصطدامها بسيارتكما ...!

وقال «أحمد» لـ «سالم»: هل تحتاج ورفيقك لأي مساعدة؟

ربَّت «سالم» على كتفِ «أحمد» شاكرًا وهو يقول: سوف نكون مَدينين لكما إن عاونتمانا في إخراج السيارة من الشق الصخري.

وتقدَّم الأربعة نحو السيارة، وتعاونوا في رفعها حتى استطاعوا تخليص عجلاتها من الشق. ولوَّح «سالم» ورفيقه «ممدوح» لـ «أحمد» و«عثمان» قبل أن يَنطلقا بسيارتهما ... ومن الخلف انطلق «أحمد» و«عثمان» بسيارتهما على مسافة قريبة.

قال «أحمد» لـ «عثمان»: لقد كان استنتاجنا في محلِّه ... لو تأخَّرْنا أقل من ثانية لكانت النتيجة مُؤسِفة.

عثمان: حمدًا لله ... إن هذا يُؤكِّد أن أعداءنا قد أعدُّوا عدَّتهم للتخلُّص من «سالم» مبكرًا ... وقبل الوصول إلى الغابات والأحراش وهذا يتطلَّب منَّا أن نكون في قمة يقظتنا منذ هذه اللحظة.

هزَّ «أحمد» رأسه موافقًا ... ولم يَحدُث ما يُعكِّر السير خلال الساعات القليلة التالية ... وأوشكت الشمس على المَغيب فألقى «أحمد» نظرة إلى مؤشِّر البنزين وقال: لم يتبقَّ من البنزين إلا ما يكفي خمسين كيلومترًا.

عثمان: سأُرسل رسالةً إلى بقية الشياطين أُخبرُهم بموقعنا ليلحقوا بنا ويُزوِّدونا بالبنزين.

أحمد: لا بدَّ أنهم شاهدوا السيارة المُنفجِرة وخمنوا ما حدث.

أرسل «عثمان» رسالة لا سِلكية إلى بقية الشياطين وحدَّد فيها موقع سيارتهما بالتقريب ... وما لبثت سيارة «سالم» و«ممدوح» أن توقَّفَت على جانب الطريق في بقعة نبتت بها بعض الأشجار غير الكثيفة ... وتجاوزت سيارة الشياطين سيارة الفريق العربي بأكثر من خمسمائة متر ثمَّ توقَّفت في بُقعة مشابهة ...

وكان الليل قد حلَّ وساد الظلام المكان فغادر «أحمد» و«عثمان» السيارة، وأمسك «عثمان» بنظارة مُعظِّمة تَرى في الظلام بالأشعة تحت الحمراء فشاهد «سالم» وهو يَكشِف غطاء سيارته ويقوم بتبريدها.

قال «أحمد» وهو يَنظُر في ساعته: لن تصل سيارة الشياطين قبل ساعة، وكذلك السيارة الأخرى المعاونة للفريق العربي ... سوف أكون قريبًا من «سالم» ورفيقه لحمايتهما عند حدوث أي خطر.

هزَّ «عثمان» رأسه موافقًا، وناول «أحمد» مسدسًا سريع الطلقات به كاتم للصوت وهو يقول: سأظل أرقبكم بالنظارة المقربة، وسأتدخَّل عند الحاجة لأي معاونة.

انطلق «أحمد» بمسدسه مخترقًا الأشجار المظلمة التي بدتْ كالأشباح في الطريق ... واقترب من «سالم» و«ممدوح» دون أن يلاحظاه، وتوقف على مسافة خمسين مترًا منهما خلف إحدى الأشجار العريضة وسمع «سالم» يقول: ستصل سيارتنا المعاوِنة خلال خمسين دقيقة.

ممدوح: ما رأيك في التخييم هنا بعد فحص السيارة وتزويدها بالوقود؟

اعترض «سالم» قائلًا: لا ... إن هذا سيُضيِّع علينا وقتًا طويلًا ... سوف نَنطلِق بسيارتنا مرة أخرى هذا المساء.

تطلَّع «ممدوح» حوله قائلًا: ولكن الطريق بدأ ينحدر ويصبح أكثر وعورة ... من الخطر السير في هذا الطريق ليلًا بلا إضاءة كافية.

قال «سالم» بصوت يَمتلئ ثقة: وما فائدة اشتراكنا في السباق إذا لم يكن لمواجهة الأخطار؟

وساد الصمت بعد عبارة «سالم» ... وكمش «أحمد» في مكانه مترقبًا ... ومرت الدقائق بطيئة متمهلة ...

وفجأة أحس «أحمد» بالخطر ... كان إحساسًا داخليًّا كأنما دقت بداخله ساعة مُنبهة تعمل إذا ما اقترب الخطر ... وكان «أحمد» لكثرة ما جابَهَ من أخطار يعرف أن حاسته السادسة صحيحة تمامًا، وأنها لطالما أنقذته من المخاطر ...

تلفَّت «أحمد» حوله وقد تيقظت كل حواسه ... ولكنه لم يشاهد في الظلام ما يريبه ولمحت عينا «أحمد» الحادتان شيئًا يتحرَّك خلف إحدى الأشجار البعيدة ... وحدق «أحمد» في الظلام وخُيِّل إليه أنه لمح ما يُشبه ماسورة بندقية تبرز من خلف الشجرة البعيدة، وعلى الفور أخرج «أحمد» مسدَّسه وصوبه نحو البندقية البعيدة، وما إن أطلَّ صاحب البندقية برأسه وكتفه وهو يصوب بندقيته نحو صدر «سالم» حتى أطلق «أحمد» مسدسه، وعلى الفور سمع آهة ألم مكتومة تصدر من خلف الشجرة البعيدة ... وانطلق «أحمد» نحو الشجرة فوصلها خلال ثوانٍ قليلة ولكنه لم يجد أحدًا هناك بل وجد آثار دماء ساخنة ...

ووصل «عثمان» لاهثًا إلى مكان «أحمد» وهو يتساءل: هل أمسكت به؟ ... لقد لمحته بنظارتي ولكنك أصبتَه في الوقت المناسب ...

أحمد: إنه في مكان ما قريب من هنا ... علينا أن نعثر عليه؟

وفجأة دار محرِّك سيارة قريب، وانطلقت سيارة كانت مختفية في الظلام وانطلقت مبتعدة عنهما ... وعلى الفور صوب «أحمد» مسدَّسه نحو السيارة وأخذ يطلق عدة رصاصات متتالية، ولكن أيًّا منها لم تصب السيارة بسبب الظلام.

عثمان: دعنا نَعُد إلى سيارتنا ... أعتقد أنهما سيكتفون بما نالهم هذه الليلة على أيدينا.

وعاد «عثمان» و«أحمد» إلى سيارتهما ... وفي الناحية الأخرى كان «سالم» و«ممدوح» يتسامران ويضحكان بدون أن يَدريا بالخطر الذي كان محدقًا بهما منذ وقت قليل.

ووصلت سيارة الشياطين ومن خلفهما سيارة الفريق العربي المعاونة ... وشرعت سيارة الشياطين في التزوُّد بالوقود، وراح «قيس» يفحص موتور السيارة وتوصيلاتها في الوقت الذي راح «أحمد» و«عثمان» يقصان على زملائهم ما صادفاه من هجوم.

إلهام: لقد لمحْنا السيارة المنفجرة.

زبيدة: وعلينا ألا نجعل «سالم» ورفيقه يغيبان عن بصرنا.

ومن الخلف بدأت سيارة «سالم» تدور مرة أخرى وخلفها السيارة المعاونة ... وتحركت السيارتان لتتجاوزا سيارة الشياطين.

وعلى الفور استقلَّ «أحمد» و«عثمان» سيارتهما وانطلقا بها، ومن الخلف انطلقت سيارة «قيس» و«زبيدة» و«إلهام» في تتابع محموم ...

كان الطريق قد بدأ يصير منحدرًا صعبًا تتخلَّله الصخور الحادة في بعض جوانبه على حين ظهرت التلال البعيدة في الظلام كأشباح هائلة تطبق على المكان وتضفي عليه جوًّا من الرهبة والغموض، واستمرت سيارة «سالم» في طريقها تفرش الأرض الصخرية الوعرة بأنوارها الكاشفة العالية مما سهل للشياطين متابعتها من مسافة قريبة.

وبدأت السيارات الأربع تصعد طريقًا جبليًّا عاليًا يلتفُّ كالثعبان حول جسم الجبل صاعدًا إلى التلال الأخرى القريبة ... وكانت سيارة «سالم» تَنطلِق بسرعة كبيرة مخيفة فهتفت «زبيدة» في غضب: إن هذا الشاب متهوِّر تمامًا! ما العمل الآن إذا انحرفت سيارته أو اصطدمت بالصخور وسقطت من فوق الطريق إلى الهوة الفسيحة؟

إلهام: لا تَشغلي بالك بذلك ... إن هذا الشاب يبدو أشبه بالشياطين في جرأتهم وشجاعتهم ... ولا أظن أنك ستخشين على أي من الشياطين القيادة في مثل هذا الطريق، لقد صادفنا ما هو أكثر خطورة منه آلاف المرات في سويسرا والهند وغيرهما.

ظلت «زبيدة» صامتة، وبالفعل فقد أظهر «سالم» مهارة بالغة في قيادة سيارته في المنحدرات المخيفة حتى إن «أحمد» قال بإعجاب: إنَّ هذا الفتى سائق بارع وجريء!

وما لبث الطريق الصخري أن انتهى إلى ربوة تلٍّ عالية تشرف على الوادي البعيد من أسفل وقد ظهرت بعض النجوم الشاحبة ألقت ظلًّا من الضوء في الليلة المعتمة بلا قمر ...

كانت قد مضت ساعات من السير في الليل، وأوشك الوقود على النفاد مرة أخرى، فقال «عثمان» لـ «أحمد»: أعتقد أن «سالم» سيخلد إلى الراحة خلال دقائق قليلة.

وبالفعل فقبل أن تمضيَ خمس دقائق توقفت سيارة الفريق العربي في منطقة مكشوفة، وبدأ أفرادها في إقامة خيمة واسعة بجوارها.

وأوقف «أحمد» سيارته قريبًا منهما وأشار لسيارة الشياطين الأخرى فتوقفَت خلفه تمامًا، وقفز «قيس» و«زبيدة» و«إلهام» من السيارة؛ فقال «أحمد»: سوف نُخيِّم هنا أيضًا ... لقد اختار «سالم» منطقة جيدة للتخييم فهي مكشوفة من كل الجهات وسيسهل رد أي اعتداء أو هجوم يأتي من أي جانب.

وشرعت «زبيدة» و«إلهام» في إقامة خيمة، وبعد دقائق انتهوا منها وجلسوا لتناول العشاء وعيونهم لا تَغفل عن الفريق العربي الذي جلس أفراده لتناول العشاء أيضًا ... وانتهى الشياطين من تناول عشائهم؛ فقال «قيس»: سوف نُقسم أفرادنا إلى فريقَين للحراسة إلى الصباح.

عثمان: سأسهَر أنا و«أحمد» أولًا ... وسوف نوقظكم بعد ثلاث ساعات لتسلم نوبتكم في الحراسة.

دلفت «إلهام» و«زبيدة» إلى داخل الخيمة للنوم، على حين فضل «قيس» النوم في مقعد السيارة الدافئ الكبير، وجلس «أحمد» و«عثمان» فوق صخرة كبيرة بجوارهما وقد تسلح كلٌّ منهما بمسدس كاتم للصوت أخفاه في سُترته ... أما «سالم» ورفاقه فقد ناموا جميعًا داخل الخيمة التي أقاموها دون أن يبدو عليهم ما يُقلقهم.

وكانت الطبيعة حول الشيطانين «أحمد» و«عثمان» جميلة تُغري بالاسترخاء والنوم اللذيذ، وما لبث «عثمان» أن تثاءب وهو يقول: يا له من جو ساكن هادئ يُغري بالنوم!

قال «أحمد» باسمًا: يُمكنك النوم بجواري ... وإذا حدث أي شيء فإنني ...

قاطعه «عثمان» ضاحكًا: إنني لستُ بحاجة إلى من يوقظني عندما تشتعل المعارك.

وتمدَّد فوق الأرض الصخرية وهو يراقب السماء المرصعة بالنجوم ... وتثاءب مرة أخرى، وما كاد يغمض عينيه حتى قفز من مكانه بشدة على صوت الانفجار الذي دوَّى حوله ورج المكان رجًّا ... ومن فوق بدتْ طائرة صغيرة مُهاجمة وهي تنقضُّ نحو التل المكشوف لتطلق صاروخها الثاني.

الخطر ... من فوق!

على الفور أدرك «عثمان» ما يجري حولهم ... طائرة مُقاتلة تهاجمهم بالصواريخ أو القنابل ولم يكن الأمر بحاجة إلى تبادل أيِّ مشاورات مع بقية رفاقه ...

في نفس اللحظة ارتمى «أحمد» و«عثمان» بعيدًا عن مكانيهما في الوقت الذي انهال عليهم من الطائرة سيل من الرصاص وأمسك «أحمد» مسدَّسه وصوبه نحو الطائرة البعيدة وأطلقه ولكن الرصاصات كلها طاشت ... وقفزت «إلهام» و«زبيدة» خارج الخيمة بسبب صوت الانفجار، وعلى الفور اندفعتا نحو شاحنتهما، وكان «قيس» قد سبقهما إلى الاستيقاظ، وفي سرعة محمومة أخرج الثلاثة الصواريخ المحمولة على الكتف وصوَّبوها نحو الطائرة المهاجمة التي اقتربت كثيرًا ...

واندفع «سالم» وزملاؤه، وقد أدهشتْهم المفاجأة فصرخ «أحمد» فيهم: احتموا خلف الصخور.

وعلى الفور ألقى الأربعة بأنفسهم خلف أقرب صخرة، في نفس اللحظة التي أطلقت الطائرة فيها قنبلتين انفجرتا بصوت مُدوٍّ ...

وصوَّبت «زبيدة» سلاحها بدقة وأطلقتْه، وانطلق الصاروخ يشق الفضاء نحو الطائرة، ولكن قائد الطائرة كان ماهرًا فتحاشاه بسرعة، واستدار ليُطلق سيلًا من الرصاص نحو «زبيدة» التي تدحرجت فوق الأرض لتحتمي بإحدى الصخور.

وأدركت «إلهام» أنهم لن يستطيعوا إصابة الطائرة وهي على ذلك الارتفاع، وعلى الفور نهضت كاشفة نفسها للطائرة في السهل الفسيح، وصاح «قيس» في «إلهام» بدهشة: ماذا تفعلين يا «إلهام»؟! إنك تعرضين نفسك لرصاصهم وقنابلهم ...

ولكن «إلهام» لم تلتفت إلى «قيس»، وكما توقعت؛ فقد اقتربت الطائرة بشدة من سفح التل، وقبل أن تطلق رصاصها وقنابلها، وفي وقت واحد انطلقت رصاصات «أحمد»

و«عثمان» نحوها، وفي نفس اللحظة استعدَّت «إلهام» وصوبت صاروخًا وهي تدرك أنه أملها الوحيد في النجاة، وأنها لو فشلت فسوف تكون نهايتها بقنابل الطائرة ورصاصها.

وانطلق الصاروخ من مدفع «إلهام» يشق الهواء، وفي نفس اللحظة ألقت بنفسها على الأرض بعيدًا لتتحاشى القنبلة التي سقطت مكانها ... ودوَّى الانفجاران في وقت واحد ... انفجرت القنبلة التي أسقطتها الطائرة على الأرض بدون أن تُصيب أحدًا ... وانفجرت الطائرة المهاجمة عندما اصطدم الصاروخ بها وانحدَرَت مُحترقة أسفل التل نحو الوادي البعيد ... نهض الشياطين باسِمِين وهم يرفعون أيديهم بعلامة النصر ... لم تكن هناك خسائر من جانبهم ... وقال «عثمان» وهو ينفضُ التراب عن ملابسه: إنهم يصرُّون على مهاجمتنا في الأوقات غير المناسبة.

قال «أحمد» مفكرًا: لا بد أنه يكمن خلف هؤلاء المهاجمين قوة سياسية كبيرة جدًّا حتى تمتلك مثل هذه الطائرة المهاجمة ...

إلهام: تُرى بماذا سيُهاجموننا المرة القادمة؟

وانتبهوا جميعًا على الصوت الغاضب الذي جاء من خلفهم وهو يقول: من أنتم؟ وماذا تفعلون هنا؟

التفت الشياطين بدهشة ... كان المتحدث هو «سالم» وقد وقف يعلو وجهه الغضب الشديد وحوله رفاقه تبدو في عيونهم دهشة عظيمة لما حدث. قال «أحمد» بهدوء: إننا مُتسابقون مثلكم تمامًا.

هتف «سالم» محتجًّا: وهل يحمل المتسابقون صواريخ ومسدسات؟!

سادت لحظة صمت متوتِّرة، وتبادل الشياطين خلالها النظرات في هدوء، لم يكن هناك بدٌّ من الاعتراف بحقيقة مهمَّتهم برغم تعليمات رقم «صفر» ...

وفي هدوء قال «أحمد»: في الحقيقة نحن مجموعة من الزملاء تتبع إحدى المنظمات العربية ومهمتها حمايتك في هذا السباق.

زادت حدة الغضب في عيني «سالم» وقال: إنني لستُ طفلًا حتى أحتاج إلى حماية من أحد ... لقد أخبرت الجميع بأنني لا أحتاج هذه الحماية ...

عثمان: لا داعيَ لهذا الغضب أيها الصديق العربي ... إنك على أيِّ حال لا يمكنك أن تنكر أننا استطعنا إنقاذك ورفاقك ثلاث مرات من الموت حتى الآن!

قال «سالم» بدهشة: إذن فأنتم الذين فجَّرتم السيارة الملغومة!

أحمد: نعم ... وفجَّرنا هذه الطائرة التي هاجمتكم منذ قليل.

عثمان: بالإضافة إلى تدخلنا أثناء استراحتكم على الطريق وأنقذناك من محاولة للاغتيال بالرصاص وأنت لا تدري شيئًا عما يدور حولك.

اتسعت الدهشة في عيني «سالم»، وتلفَّتَ حوله في توتر، وقالت «إلهام» برفق: ها أنت ترى أن الأخطار تُحيط بك فعلًا كما توقع من أرادوا حمايتك.

أحمد: وسيكون أفضل لنا ولك لو سمحت لنا باصطحابك خلال فترة السباق لحمايتك من أيِّ خطر يهددك وحتى يمكننا التصرف بسرعة ...

قال «ممدوح» رفيق «سالم» محتجًّا: إننا لسنا بحاجة إلى حماية أحد ...

وأبرز مسدسًا من سترته وهو يقول: إذا ما حاول أحد مهاجمتنا مرة أخرى فسوف نتصدى له بأنفسنا ... إننا لم نعتدْ على طلب المعونة من أحد ...

سالم: نعم ... إننا لا نريد من أحد أن يقول إننا فُزنا بالسباق بمساعدة أي مخلوق ... أما تلك المحاوَلات الغبية لاغتيالي فأنا لا ألتَفِت إليها ... وسأعرف كيف أواجه هؤلاء المجرمين إذا ما حاولوا الهجوم مرةً أخرى ...

وأشار إلى رفاقه قائلًا: هيا حُلُّوا الخيمة ... سوف نغادر هذا المكان ونواصل سباقنا ...

وعلى الفور شرع رفاقه في حل الخيمة التي أصابتها بعض الشظايا، وقالت «إلهام» وهي تراقبهم في صمت: إن «سالم» يصرُّ على زيادة مهمتنا تعقيدًا ... ما العمل الآن؟!

قال «عثمان» بحدة: لقد جئنا لحمايته ولن نتخلَّى عن مهمَّتنا مهما حدث.

زبيدة: وهل سنَحميه رغمًا عنه؟! إنني لا أشك في أنه سيتعمَّد تضليلنا حتى يهرب من حمايتنا له.

لمعت عينا «أحمد» وهو يقول: في هذه الحالة لن يكون أمامنا سوى تصرُّف وحيد ... إننا لن نتبع سيارة «سالم» من قرب بل سنتبعها على مسافة بعيدة.

قالت «زبيدة» محتجة: ولكن ماذا يحدث إذا تعرضت سيارة «سالم» للهجوم مرة أخرى؟

رد «أحمد» بغموض: في هذه الحالة سأكون أنا معهم لحمايتهم!

تطلع بقية الشياطين الأربعة في دهشة إلى «أحمد»، وقبل أن يحتج أحدهم قال: ليس أمامنا غير هذه الوسيلة ... سوف أختبئ في سيارتهم الثانية بصندوقها حتى يُمكنني التدخل في الوقت المناسب، وسوف أحمل بعض القنابل ومدفعًا رشاشًا للدفاع عن أفراد الفريق العربي ... وإذا ما احتجتُ لأي مساعدة فسوف أطلبها منكم باللاسلكي وأُحدِّد موقعنا ...

ولم يكن أمام الشياطين غير الموافَقة، وسرعان ما تسلح «أحمد» بعدد من القنابل اليدوية ومدفع رشاش ممتلئ بالذخيرة وجهاز اللاسلكي الصغير الوحيد الذي يملكه الشياطين ...

وكان أعضاء الفريق العربي قد انتهوا من جمع أشيائهم ووضعوها في السيارة الكبيرة ... وتأهَّبت سيارتا الفريق للحركة ... ثم دارت محركات السيارتين وانطلقتا من مكانهما بالاتجاه الهابط للتل ... وفي خفة وسرعة اندفع «أحمد» خلف السيارة الثانية الكبيرة وتعلَّق بها من الخلف، وبحركة بارعة ألقى بنفسه فوق سطحها قبل أن تختفي السيارة في الظلام وعيون الشياطين الأربعة تراقبها في صمت، وقد تعلَّقت قلوبهم بـ «أحمد» في قلق شديد وهم لا يدرون نوع الخطر القادم الذي سيواجهه وحده ...

قنابل موقوتة ... ودبابة!

ظهرت تباشير الصباح في الأفق وسيارتا الفريق العربي تسيران متلازمتين، بدون أن يحس ركابهما بتعلُّق «أحمد» فوق سطح السيارة الثانية.

واستمرَّ السير ساعات الصباح حتى قرابة الظهر، ومرقت عدة سيارات متسابقة بجوار سيارتي الفريق العربي ولوحوا لـ «أحمد» وهو راقد فوق ظهر الشاحنة يظنُّونه يقدم ألعابًا بهلوانية خطرة فلوح لهم «أحمد»، على حين أصابت الدهشة وجوه الفريق العربي داخل السيارتين وهم لا يدرون علام يلوح قائدو السيارات المتسابقة كلما مروا بهم.

في الساعة الثانية عشرة ظهرًا توقفت السيارتان للراحة، فقفز «أحمد» من فوق سطح السيارة الثانية وأسرع يختبئ خلف بعض الأشجار القريبة. وكما توقع «أحمد» فقد انتوى الفريق العربي الراحة بعد السفر الطويل المتوالي، وقاد «سالم» سيارته بعيدًا عن الطريق وتبعته السيارة المعاونة، وفي بقعة ظليلة توقَّفت السيارتان، وهبط «سالم» ورفاقه وتبادلوا حديثًا قصيرًا، ولاحظ «أحمد» عن بُعد علامات الإرهاق البادية على وجوه الفريق لعدم نَومهم طوال يوم كامل من السفر الشاق ...

ووضح لـ «أحمد» أنه تمَّ تقسيم نوبة الحراسة بين الأفراد الأربعة، بحيث يتولى الحراسة «سالم» و«ممدوح» بينما يحصل رفيقاهما على عدد من ساعات النوم، ثم تتبادل المجموعتان الحراسة والراحة ...

وأحس «أحمد» بجوع، وتلفت حوله فشاهد بعض أشجار الفاكهة فاقتطف بعضها وأخذ يتناول منها في شهية واضحة، ثم تسلق إحدى الأشجار العالية وعينه مصوبة على أعضاء الفريق العربي بدون أن تغفل ... ومر الوقت بطيئًا ... وأحس «أحمد» بالنعاس يغزو جفنيه، فهو لم ينم منذ يوم ونصف، ولكنه قاوم إحساسه بالنوم بشدة ... ولكنه

ما لبث أن استغرق فيه رغمًا عنه، واستيقظ على أزيز من جهاز الإرسال والاستقبال الصغير لديه ... وكانت المتحدثة هي «إلهام» تسأله عن موقعه ...

انتبه «أحمد» تمامًا ... كان الوقت هو وقت الغروب وقد أوشكت الشمس على المغيب وقد تأهب أعضاء الفريق العربي لمواصلة السباق فوضح لـ «أحمد» أنهم ينتوون السير ليلًا والراحة نهارًا، وفي الحال أرسل «أحمد» إلى بقية الشياطين رسالة بموقعِه واستعداد الفريق لمواصلة السباق ليلًا ...

وبقَفزة بارعة نزل من فوق الشجرة العالية، واندفع نحو السيارة الثانية للفريق التي بدأت تتحرك، فتعلق بها ثم ارتفع بجسده في حركه بهلوانية فصار فوق سطحها، وتمدَّد في سكون وعيناه تراقبان الطريق من الأمام والخلف ...

وبرغم هدوء الطريق وفراغه فقد أحس «أحمد» بشيء من القلق الشديد يَعتريه ... كان هناك إحساس بالخطر يملأ كيانه ولا يدري له سببًا ... وتطلع «أحمد» بعينين فاحصتين كالصقر يراقب الطريق المظلم الذي أضاءته لمسافة بعيدة كشافات سيارة «سالم» بدون أن يبدو فيه ما يُوحي بالخطر ... وكانت أسهم طريق السباق الفسفورية تُضيء في الظلام عن بُعد في مسافات متوالية فتوحي بالطمأنينة والألفة ...

ولكن برغم ذلك لم يخفَّ إحساس «أحمد» بالتوتر والقلق ... بل زاد إحساسه وتضاعف وتساءل «أحمد»، أين يكمن الخطر هذه المرة ... لقد جاء أولًا من سيارة ملغومة، وثانيًا من محاولة اغتيال بالرصاص، وثالثًا من طائرة مهاجمة بالصواريخ والقنابل، تُرى من أين سيأتي الخطر هذه المرة؟

وكان من المستحيل على «أحمد» أن يبقى مكانه وذلك الإحساس المتنامي بالخطر يتزايد في صدره حتى صار له دوي كقرع الطبول ... كان «أحمد» لا يُريد أن يغامر بإفساد العملية بكشف نفسه لـ «سالم» ورفاقه، وكان عليه أن يتصرف وأن يحميهم من ذلك الخطر المجهول، بدون حتى أن يحسوا بوجوده ...

انزلق «أحمد» من على سطح السيارة، وتعلق بجدارها الخلفي في رشاقة وقوة، وثبت أصابعه في مؤخرة السيارة وهبط أسفلها بحذر ...

كانت السيارة تسير بسرعة بالغة تقترب من المائة والخمسين كيلومترًا في الساعة، فيهتز كل جزء فيها بقوة من تأثير السرعة، وكان أمرًا شاقًّا على «أحمد» أن يُواصل تعلقه بمؤخرة السيارة من أسفل، ولكنه تشبث بها في قوة حديدية، وشرع يتفحص بنظره في الظلام أسفل السيارة ... وكما توقع «أحمد» فقد لمحت عيناه قنبلة موقوتة مُختفية أسفل

السيارة قرب مؤخرتها، وأدرك «أحمد» أن الأعداء قد أخفوها أثناء راحة الفريق العربي، ولا شكَّ أن أفراده قد غلبهم النوم أثناء نوبتي الحراسة مما سهل للأعداء دس القنبلة ...

وبهدوء مدَّ «أحمد» يده وانتزع القنبلة وألقى عليها نظرة فاحصة، كان باقيًا على انفجارها ثلاث دقائق فقط ... واحتبست أنفاس «أحمد» وهو يضع القنبلة الموقوتة في صدره ... ثم تعلَّق بمؤخرة السيارة ورفع نفسه لأعلى فصار فوق سطحها ... كان باقيًا دقيقتان ونصف على انفجارها، وطوح «أحمد» بالقنبلة بين الأشجار المتراصة على جانب الطريق حتى لا يُؤدي انفجارها إلى إصابة أي من السيارات المارقة في الطريق ...

كان عقل «أحمد» يعمل بسرعة خارقة، كان متأكدًا من شيء معين ... أن هناك قنبلة أخرى تم إخفاؤها أسفل سيارة «سالم» ... وكان على «أحمد» انتزاع هذه القنبلة من مكانها وتفجيرها قبل أن تنفجر أسفل السيارة في نفس توقيت انفجار القنبلة الأولى ... بعد دقيقتين بالضبط ... وكان من المستحيل على «أحمد» أن يستطيع تحذير «سالم» ورفاقه، بل كان لا يريد أن يكشف لهم عن مكانه، كما كان من المستحيل عليه أيضًا أن يتعلق بسيارة «سالم» وأن يستخرج القنبلة الموقوتة منها ... وزاد توتر «أحمد» وهو يحس بالثواني تمر وتتآكل بسرعة ... لم يعد باقيًا غير دقيقة واحدة ... ولمعت الفكرة في ذهن «أحمد» كالبرق ... وعلى الفور أخرج من جيبه إحدى القنابل اليدوية وانتزع فتيلها، ثم ألقاها بكل ما يستطيع من قوة إلى الأمام على جانب الطريق ...

وكما توقع «أحمد» بالضبط، فقد انفجرت القنبلة على مقربة من سيارة «سالم» بدون أن تصيب السيارة بأيِّ أذى، ودار «سالم» بسيارته دورة حادة سريعة وأوقفها على جانب الطريق وقفز خارجها هو ورفيقه وهما يظنان أنهما يتعرضان لهجوم بالقنابل ... وتوقفت السيارة الثانية المساعدة على مسافة أمتار قليلة ولحق أفرادها بزملائهم.

كانت اللحظة مناسبة تمامًا، وقفز «أحمد» بخفة من على ظهر الشاحنة وأخذ يعدو تجاه سيارة «سالم» ... وانطلقت نحوه عدة رصاصات متتابعة أدرك «أحمد» أنها من مسدس «ممدوح» مساعد «سالم» وأنهم يظنُّونه من الأعداء ...

تدحرج «أحمد» على الأرض حتى وصل إلى سيارة «سالم» فاستلقى أسفلها بسرعة وهو يعلم أن كل ثانية لها قيمتها الجوهرية ... وشاهد «أحمد» القنبلة الموقوتة مخفاة بمهارة أسفل ماسورة العادم الخلفية فانتزعها وألقى عليها نظرة خاطفة ... لم يتبقَ سوى عشر ثوان على انفجارها ... نهض «أحمد» واندفع يعدو بسرعة محتضنًا القنبلة، وتطاير الرصاص حوله من مسدس «ممدوح»، وقفز «أحمد» قفزة واسعة في نفس اللحظة التي ألقى فيها بالقنبلة الموقوتة بعيدًا ...

وما إن لامست أقدام «أحمد» الأرض حتى دوَّى انفجار القنبلة شديدًا وسط الأشجار البعيدة ... تنفس «أحمد» الصعداء وارتسمت ابتسامة نصر فوق شفتَيه ... وراقب أعضاء الفريق العربي المحتمين خلف بعض الأشجار القريبة وهم يظنون أنهم محاصرون بالأعداء ... ولكن كيف يمكن لـ «أحمد» أن يطمئنهم؟!

ومرَّت الدقائق ببطء وسيارتا الفريق العربي تسد الطريق ... وظهرت عدة سيارات متسابقة من الخلف لمعت كشافاتها وتوقفت خلف السيارتين اللتين تسدَّان الطريق ... واضطر «سالم» ورفاقه إلى الظهور أخيرًا حذرين وهم يراقبون المكان حولهم ... ولكن، كان السكون والهدوء يشملان المكان بعد الانفجار الداوي ... واستقل «سالم» ورفاقه سيارتهما وهما لا يدريان سر ما حدث، ولا حقيقة القنبلتين المنفجرتين، ولا ذلك الشبح الذي أطلقوا عليه الرصاص ... وأخيرًا بدأت السيارتان في الحركة، وفي خفة قفز «أحمد» إلى سقف السيارة الثانية وقد تفجَّرت عروقه حيوية ونشاطًا للعملية البارعة التي قام بها ... وقام ببث رسالة إلى زملائه يخبرهم فيها بما حدث، فجاءت كلمات الإعجاب والتشجيع لتزيد من إحساسه بالزهو والانتصار ...

واستمر السير طوال الليل والسيارتان تقطعان الطريق بسرعة بالغة ... وبدأت أشعة الفجر تُلوِّن صفحة السماء السوداء ... وعلى البعد لمح «أحمد» شيئًا متحركًا يعترض الطريق، وفي الضوء القليل حدق في كنه ذلك الشيء ... وما لبثت نظرته المتسائلة أن تحوَّلت إلى نظرة دهشة عميقة وعدم تصديق ... فقد كانت هناك دبابة ضخمة تسد الطريق، ومدفعها مصوب للأمام ... تجاه سيارتي الفريق العربي المندفعتين نحوها بسرعة كبيرة ...

الخدعة الكبرى!

انطلقت من ماسورة مدفع الدبابة دانة انفجرت بعنف شديد على مسافة قليلة من سيارتي الفريق العربي، وأحس «أحمد» بنفسه يطير من فوق سقف السيارة ويسقط فوق الأرض من شدة الانفجار، على حين انحرفت سيارة «سالم» بشدة جهة اليمين لتخترق بعض الأشجار الكثيفة وتمرق من بينها ... أما السيارة الثانية فقد أصابها انفجار القنبلة بعطب فتوقفت على حافة الطريق، واندفع راكباها يغادرانها ويَعدُوان نحو الطريق الجانبي خلف سيارة «سالم».

وتحركت الدبابة هادرة وهي تتقدم للأمام ... وزحف «أحمد» فوق الطريق محاذرًا ألا يكشف نفسه للدبابة ... ولكن فجأة انطلقت دانة أخرى من الدبابة أصابت السيارة الثانية المعطوبة فانفجرت السيارة وتحوَّلت إلى شظايا وكتلة من اللهب ... واندفع «أحمد» يجري بعيدًا عن الجحيم المشتعل، فانطلق من الدبابة سيل منهمر من الرصاص خلفه، فقفز «أحمد» في الهواء وسقط بعيدًا واحتمى خلف إحدى الأشجار العريضة وصوبت الدبابة مدفعها نحو سيارة «سالم» التي اندفعت تشق طريقًا متعرجًا وسط الأشجار، وانطلقت دانة ثالثة من ماسورة مدفع الدبابة خلف سيارة «سالم»، ولكن القنبلة أخطأت السيارة وأصابت إحدى الأشجار الضخمة فتهاوت الشجرة فوق الأرض بصوت داوٍ ...

وأدرك «أحمد» أن عليه محاولة تعطيل الدبابة وجعلها تكفُّ عن إطلاق قنابلها ضد سيارة «سالم» ... وكان ما لديه من أسلحة بسيطًا لا يمكنه التأثير في دبابة ضخمة ...

وعلى الفور بث «أحمد» رسالة سريعة إلى بقية الشياطين يخبرهم فيها بهجوم الدبابة ويطلب المعونة ... ولكنَّ سيارتَي الشياطين كانتا على مسافة نصف ساعة ...

وأدرك «أحمد» أن عليه أن يواجه الدبابة وحيدًا، بقنابله اليدوية ومدفعه الرشاش ... راحت الدبابة تقترب وتقترب وماسورة مدفعها مصوبة للأمام ... وعلى مسافة قريبة

وقعت سيارة «سالم» فيما يشبه المصيدة، عندما سدت الطريق أمامها عدة أشجار كثيفة منعتها من التقدم للأمام، ومن الخلف كانت الشجرة الضخمة التي سقطت من انفجار دانة الدبابة تسد عليها طريق العودة والمناورة، وحتى الخروج من السيارة كان مستحيلًا لكثافة الأشجار حولها التي كانت تعوق فتح أبوابها.

وشاهد «أحمد» الدبابة وهي تَقتحم طريق الأشجار وتصوب مدفعها نحو سيارة «سالم» ... وكان عليه التصرف بسرعة والمخاطرة مهما كان ثمنها ... اندفع «أحمد» وسط الأشجار كاشفًا عن نفسه وأخذ يطلق سيلًا عارمًا من الرصاص من مدفعه الرشاش تجاه الدبابة ... وكان يعلم أنه لا تأثير لطلقات الرصاص على بدن الدبابة المصفح، ولكنه كان يريد تحويل أنظار قائدها إليه لحماية «سالم» وإعطائه فرصة لمغادرة السيارة والاختفاء بعيدًا ... وأمسك «أحمد» بقنبلة يدوية انتزع فتيلها وألقاها نحو الدبابة، وانفجرَت القنبلة أسفل الدبابة بدون أن تصيبها بسوء ...

والتمعت عينا «أحمد» عندما شاهد ماسورة الدبابة وهي تستدير نحوه، وانطلقت دانة من الماسورة لتنفجر مكان «أحمد»، الذي كان أسرع في حركته فقد قفز مبتعدًا ليحتمي خلف بعض الأشجار ... ومرةً أخرى ظهر «أحمد» من جهة عكسية وهو يطلق رصاصه نحو الدبابة، وألقى بقنبلة أخرى أسفلها ... ودارت ماسورة الدبابة تجاهه محاولةً ضربه ... وطاشت قنبلتها مرة أخرى ... وتحسس «أحمد» جيوبه ... كان كل ما لديه قنبلة واحدة، وقد فرغ الرصاص من مدفعه الرشاش ... وأحس «أحمد» بحرج موقفه.

ولا بدَّ أن قائد الدبابة أدرك نفاد ذخيرة «أحمد»، فاستدار نحوه وقد قرر التخلص منه أولًا ... وتحركت ماسورة الدبابة ببطء نحو «أحمد» الذي كشف عن نفسه وسط الأشجار ... كان عقل «أحمد» قد بدأ يعمل بسرعة بالغة ...

وانطلقت الدانة من الدبابة في نفس اللحظة التي ألقى «أحمد» فيها بنفسه في جوف حفرة صغيرة خلفه ليحتمي من انفجار القنبلة ... وتصاعد الغبار والشظايا من انفجار القنبلة ... وألقى قائد الدبابة نظرة إلى مكان «أحمد» فشاهد آثارًا للدمار فعلت وجهه ابتسامة شيطانية وتأكد من موت عدوِّه ...

وتحركت الدبابة في اتجاه سيارة «سالم» ... ومرَّت من فوق الحفرة التي اختبأ «أحمد» فيها، وفي براعة وخفة تعلق «أحمد» بمؤخرة الدبابة ثم تسلق سطحها ...

وتوقفت الدبابة مصوبة ماسورتها نحو سيارة «سالم» الذي انحشر بداخلها ولم يستطع الخروج، وفي أقل من الثانية أخرج «أحمد» قنبلته الأخيرة ورفع غطاء برج الدبابة ثم أسقط القنبلة في جوف الدبابة وألقى بنفسه لأسفل بعيدًا ...

ودوَّى صوت انفجار مكتوم داخل الدبابة ... وسكن كل شيء بها ... وتنفس «أحمد» الصعداء أخيرًا ... لقد انتصرَ الشياطين مرة أخرى.

تقدم «أحمد» نحو سيارة «سالم»، وعاوَنَه في إزاحة الأشجار الساقطة حول السيارة وخروجه منها ورفيقه ... وتقدم «سالم» نحو الدبابة الساكنة على مسافة قليلة منه، ولم يصدِّق عينَيه أنه نجا منها ومن قنابلها ... وفي صمتٍ احتضن «سالم» «أحمد» وهو يقول له: لا أدري كيف أشكرك أيها الصديق ... إنك تبدو بارعًا في القتال مثل شيطان!

ضحك «أحمد» قائلًا: إنني شيطان بالفعل.

تساءل «سالم»: ولكن كيف أتيت في اللحظة المناسبة لتُواجِه هذه الدبابة؟!

قص «أحمد» على «سالم» ورفاقه الثلاثة كيف أنه تعلَّق بسقف سيارتهم، وكيف أمكنه اكتشاف القنابل الموقوتة وإبعادها في الوقت المناسب ثم مواجهته للدبابة.

قال «سالم» ذاهلًا: يا إلهي! ونحن الذين كنا نظنك من الأعداء عندما انفجرت القنبلة اليدوية على الطريق وشاهدناك وأنت تعدو نحو سيارتنا ...

أحمد: لقد انتهى كل شيء الآن ... وها أنت ترى أنك بحاجة إلى حماية حقيقية فترة السباق الباقية.

هز «سالم» رأسه بصمت ثم قال: معك حق ... خاصةً وقد انفجرت سيارتنا المعاونة وسنحتاج إلى سيارة معاونة أخرى ...

أحمد: سوف تكون سيارتنا المعاونة في خدمة سيارتك أيضًا ... بشرط أن تضع نفسك تحت حمايتنا ...

قال «سالم» ضاحكًا: وأنا موافق بشرط ألا تجعلاني أفوز بالسباق بمثل طرقكم الشيطانية ...

انفجر الجميع ضاحكين ... وظهرت سيارتا الشياطين عن بُعد، وتعاون الجميع في إخراج سيارة «سالم» من وسط الأشجار إلى طريق السباق مرة أخرى ... واعتذر سائقا شاحنة «سالم» المتفجِّرة بأنهما لم يعد لهما أية فائدة، وودَّعا «سالم» واستقلا إحدى السيارات العائدة إلى العاصمة البرازيلية.

وأخيرًا انطلق الموكب ... سيارة «سالم» ومساعده في الأمام ... وخلفها على مسافة قليلة سيارة الشياطين وبداخلها «أحمد» و«عثمان» ... وعلى مسافة أخرى سيارة الشياطين الثانية وبداخلها «قيس» و«زبيدة» و«إلهام».

وكان الصباح قد أشرق تمامًا ... وشاهد الشياطين عددًا من سيارات الإسعاف والإطفاء وهي تتجه في الطريق العكسي نحو السيارة المتفجرة ... وقالت «إلهام»: إنهم يأتون متأخرين دائمًا!

زبيدة: وسوف تكون المفاجأة مُذهِلة للمسئولين عن السباق عندما يشاهدون الدبابة ... ولن يعرف أحد بالحقيقة أبدًا!

قيس: إن الشياطين لا يتركون أثرًا وراءهم أبدًا ...

وتساءلت «إلهام» بعينين ضيقتين: تُرى أي نوع من الأخطار سنُواجهها هذه المرة؟

أجابها «قيس»: مَن يدري؟!

زبيدة: مهما كان نوع الخطر الذي سنواجهه فنحن لا نخشاه ... لقد اعتدنا مواجهة الأخطار المجهولة حتى صارت جزءًا من حياتنا ...

وفي السيارة الأمامية أخذ «أحمد» و«عثمان» يُراقبان إشارات الطريق وعلامات المسافة، وقال «أحمد»: لقد بدأنا منطقة الغابات ... إنها تمتد مسافة لا تقل عن ألف كيلومتر قبل الوصول إلى حدود «بيرو» ...

تساءل «عثمان»: هل سنَخترقُها؟!

رد «أحمد»: لا ... إن اختراق هذه الغابات ضياع مؤكد وتيه لا نهاية له ... إن خرائط السباق تشير إلى أننا سنأخذ طريقًا محاذيًا للحدود البرازيلية مع «بوليفيا» لحين الوصول إلى حدود «بيرو» ... وإن كانت منطقة الحدود مليئة بالغابات أيضًا ...

وساد الصمت بين الشياطين، وبعد وقت قصير بدأت أولى ملامح الغابات البرازيلية الكثيفة التي امتدَّت جهة اليمين واليسار بكثافة شديدة ... وتعالت من قلب الغابات أصوات مختلطة لحيوانات وطيور وزواحف بأنواع لا تحصى ...

وكان الطريق متعرجًا غير مستقيم ينحرف جهة اليمين مرة وجهة اليسار مرة أخرى ... ولم يكن هناك أيٌّ من السيارات المتسابقة حولهم ...

واستمرَّت السيارات الثلاث في سيرها المتعرج وهي تتبع إشارات الطريق والأسهم، وتعجب الشياطين أن الطريق صار مُلتويًا بطريقة عجيبة حتى لكأنهم اخترقوا الغابات نفسها، وبعد ساعات من السير الشاق أحس الشياطين أنهم يدورون في حلقات مفرغة، فأوقف «أحمد» سيارته وتوقفت السيارتان الأخريان ...

وتطلع «أحمد» حوله بدهشة فشاهد الغابات الكثيفة تسد الطريق حولهم في كل اتجاه ولم يكن الطريق يوحي بأنه طريق سباق أبدًا! قالت «إلهام» مندهشة: يبدو أننا قد ضللنا الطريق! إن هذا الطريق مسدود وهو لا يمكن أن يكون طريق سباق أبدًا ...

زبيدة: ولكننا اتبعنا إشارات الطريق ...

ضاقت عينا «أحمد» وهو يقول بشك: ولماذا لا تكون هذه الإشارات خاطئة وتم وضعها عمدًا لتضليلنا ...؟!

قيس: أتقصد يا «أحمد» أنهم أرادوا تضليلنا في هذه الغابات الكثيفة؟!

أحمد: هذا واضح ... إنهم موقنون أننا لن نستطيع الخروج منها أحياءً أبدًا ...

عثمان: سوف نتبع إشارات الطريق التي قادتنا إلى هنا بطريقة عكسية للخروج من هذه الغابات، والعودة إلى الطريق مرة أخرى ...

وافق الجميع وأسرعوا إلى سياراتهم واستداروا بها ... وما كادوا يسيرون أقل من كيلومتر حتى اختفت إشارات الطريق الزائفة ... كأن يدًا قد أخفتها من المكان ... ووجد الشياطين أمامهم أكثر من طريق داخل الغابات وهم لا يدرون أيهم يؤدي إلى خارج الغابات الكثيفة المهولة ...

وأحس الشياطين بالمأزق الذي صاروا فيه مع «سالم» ... لقد كان عليهم أن يدخلوا حربًا مع الطبيعة هذه المرة في أحراش مجهولة لم تطأها قدم إنسان، وعامرة بكل أنواع الأخطار الطبيعية التي لا تخطر ببال إنسان ... لقد سقطوا في الخدعة الكبرى ...!

هنـــداوي